القرآن الكريم ومنهجية تزكية النفس، رؤية تحليلية في البناء النفسي والأخلاقي

دكتور: الصديق محمد أحمد الغويل
قسم أصول الدين كلية الدراسات الإسلامية جامعة مصراتة

Smg197175@yahoo.com

استلمت الورقة بتاريخ 2025/02/12،وقبلت بتاريخ 2025/02/20 ونشرت بتاريخ 2025/02/21

الكلمات المفتاحية:
القرآن الكريم ، تزكية النفس ، السنة النبوية ، البناء النفسي والأخلاقي ، الأثر النفسي .

الملخص

- تزكية النفس هي أساس بناء الإنسان الصالح الذي ينفع نفسه ومجتمعه، وتُعد ضرورة لتحسين الأخلاق وتحقيق رضا الله إذ إن النفس المزكاة تصنع أخلاقًا راقية تُحقق السعادة للفرد والمجتمع وهي المنهج الذي يؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.
- عني القرآن الكريم بتزكية النفس وجعلها مطلوبة من المكلف ورتب الجزاء العظيم لمن سعى في تزكية نفسه وتخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل ووعد أنه هاد من جاهد نفسه إلى الصراط المستقيم وأخبر أنها محض فضل منه سبحانه وتعالى لا تكون بسعي العبد ولا باجتهاده وإنما السعي امتثال للأمر والتوفيق والفلاح إنما هو من الله عز وجل.
- جاءت السنة الشريفة مبينة أن منهج تزكية النفس منهج إسلامي أصيل ومنبهة على أهمية ذلك المنهج وشارحة للوسيلة التي تكون بها التزكية ليتضح لنا جليا أن من أراد الله ورسوله والدار الآخرة فعليه أن يسلك هذا الطريق ويأخذ نفسه بالمجاهدة ويداوم على ذكر الله فإن الله سبحانه وتعالى إذا رأى من عبده خيرا وفقه وهداه إلى سواء السبيل.
- جودة المجتمع تكون بجودة أخلاق أفراده وأسعد الناس بحسن الخلق نفسه وأشقى الناس بسوء الخلق نفسه أيضا، فمن زكت نفسه وفقه كانت تزكيته خيرا له ولغيره من أفراد مجتمعه والعكس بالعكس.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المستحق لجميع المحامد كلها ما علمت منها وما لم أعلم، عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم، الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وأنزل معه كتابا فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا وجعله شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الوجود الذي أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فزكى القلوب والأرواح وحمل النفوس على أمر الله حتى استقامت، فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين حق قدره ومقداره العظيم.

أما بعد فهذا بحث تحت عنوان **"القرآن الكريم ومنهجية تزكية النفس، رؤية تحليلية في البناء النفسي والأخلاقي"** وقد جاء البحث في أربعة مباحث:

المبحث الأول: في المفاهيم الأساسية والإطار النظري.
المبحث الثاني: في موارد تزكية النفس في النص القرآني.
المبحث الثالث: في دعم السنة النبوية لمنهج تزكية النفس.
المبحث الرابع: في الأثر النفسي والأخلاقي لمنهج التزكية القرآني.

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذه الورقات خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين بجاه سيد المرسلين وبكل عزيز عنده آمين

المبحث الأول: في المفاهيم الأساسية والإطار النظري:

تمثل تزكية النفس حجر الزاوية في بناء الإنسان المؤمن، فهي عملية تطهير تسعى إلى تخلية النفس من الأخلاق الذميمة وإعدادها للتحلي بالأخلاق الحميدة التي أمر بها الله تعالى، يولي القرآن الكريم أهمية خاصة لهذا المفهوم حيث يربط بين تزكية

النفس والفلاح، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [1]، وتؤكد السنة النبوية هذا المعنى من خلال توجيهات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في تهذيب النفوس وتربية القلوب على الإيمان من خلال الذكر والفكر.
في هذا المبحث سأتناول -إن شاء الله- معنى تزكية النفس في ضوء النصوص القرآنية مع تسليط الضوء على علاقتها بالأخلاق الإسلامية وأهميتها في بناء شخصية الفرد وتنمية المجتمع، يشكل هذا المدخل النظري أساسًا لفهم الأبعاد النفسية والروحية لتزكية النفس وأثرها الشامل على حياة الإنسان.

المطلب الأول: معنى تزكية النفس:

تزكية النفس لغة: التزكية مشتقة من "زكا"، بمعنى الطهارة والنماء قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} جاء في المعجم الاشتقاقي المؤصل للدكتور محمد حسن جبل "الزكا مقصور: الشفع من العدد ضد الخسا، والزوجان ضد الفرد، وأرض زكية طيبة سمينة، زكا الزرع يزكو زكاء نما والزكاء النماء والريع، المعنى المحوري زيادة الشيء في ذاته مع جودة نوعه كالزكا فهو أزيد"[2].
والنفس لطيفة مركبة في الإنسان وهي محل الرغبة والشهوة فيه.
واصطلاحًا: تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة، يقول الإمام النسفي في تفسيره: "ثم معنى قوله قد أفلح من زكاها: أي نجا من كل مرهوب ووصل إلى كل محبوب من زكى النفس أي طهرها وأنماها ورفعها في الطاعة"[3].

المطلب الثاني: أهمية تزكية النفس في الإسلام:

لتزكية النفس مكانة عظيمة في الإسلام حيث جعلها الله من أسباب الفلاح والنجاة، وهي من غايات الرسالة النبوية: قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [4]، كما أنها تحقق الغاية من الخلق إذ خُلق الإنسان ليعبد الله، والتزكية سبيل لإتمام تلك العبادة بصفاء النفس وتطهيرها وقد امتن الله على المؤمنين بإرساله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزكيهم فقال تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [5]، يقول الرازي رحمه الله في تفسير هذه الآية "اعْلَمْ أَنَّ كَمَالَ حَالِ الْإِنْسَانِ فِي أَمْرَيْنِ: فِي أَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ لِذَاتِهِ، وَالْخَيْرَ لِأَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ قُوَّتَانِ، نَظَرِيَّةٌ وَعَمَلِيَّةٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَكُونَ سَبَبًا لِتَكْمِيلِ الْخَلْقِ فِي هاتين القوتين، فقوله: يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ إِشَارَةٌ إِلَى كَوْنِهِ مُبَلِّغًا لِذَلِكَ الْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَلْقِ، وَقَوْلُهُ: وَيُزَكِّيهِمْ إِشَارَةٌ إِلَى تَكْمِيلِ الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ بِحُصُولِ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْكِتَابَ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّأْوِيلِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الْكِتَابَ إِشَارَةٌ إِلَى ظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَالْحِكْمَةَ إِشَارَةٌ إِلَى مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ وَأَسْرَارِهَا وَعِلَلِهَا وَمَنَافِعِهَا، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى مَا تَتَكَمَّلُ بِهِ هَذِهِ النِّعْمَةُ وَهُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، لِأَنَّ النِّعْمَةَ إِذَا وَرَدَتْ بَعْدَ الْمِحْنَةِ كَانَ تَوَقُّعُهَا أَعْظَمَ، فَإِذَا كَانَ وَجْهُ النِّعْمَةِ الْعِلْمَ وَالْإِعْلَامَ، وَوَرَدَا عَقِيبَ الْجَهْلِ وَالذَّهَابِ عَنِ الدِّينِ، كَانَ أَعْظَمَ)[6].

المطلب الثالث: العلاقة بين تزكية النفس وأخلاقيات الإنسان.

ترتبط تزكية النفس ارتباطًا وثيقًا بأخلاقيات الإنسان، لأن الأخلاق هي المظهر الخارجي المعبر عما في النفس، فالإنسان لا يمكن معرفة ما بداخله إلا إذا أظهره بالقول أو الفعل، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
والتعبير معناه جعل المعاني التي هي في الذهن تعبر إلى الخارج من خلال القول أو الفعل ليمكن فهمها، وبالتالي فالأخلاق الحسنة من ثمرات التزكية لأن صدورها من الإنسان إنما هو دليل على ما في داخله من هيئات راسخة في نفسه تصدر عنها تلك الأخلاق والعكس بالعكس وبالتالي فالأخلاق السيئة دليل على قصور في هذا الجانب من الإنسان لأنه لو تزكى فنزع من نفسه أصل الخصال المذمومة لما صدر عنه ما يدل عليها من أقوال وأفعال ولا شك أن حسن الخلق مما أمر به الشرع الشريف، فقد جاء في الحديث «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»"[7].

([1]) سورة الشمس الآية رقم (9).
([2]) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل للدكتور محمد حسن جبل (972/3).
([3]) ينظر: التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي (370/15).
([4]) سورة الجمعة، الآية:(2).
([5]) سورة آل عمران، الآية:(164).
([6]) ينظر: مفاتيح الغيب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 ه.(119/9).
([7]) أخرجه الإمام البخارى في الأدب المفرد المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256ه) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة: الثالثة، 1409 - 1989 عدد الأجزاء:1، ح(273)،(104/1).

ونستطيع القول إن هذا الملمح هو السبب الذي جعل الناس يتفاضلون يوم القيامة بحسن الخلق، ففي الحديث: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا»[1]

وإلى جانب الخلق الحسن في معاملة الناس تظهر آثار التزكية في الأمور التي ينشغل بها الإنسان، فالنفوس الكبيرة تنشغل بالأمور الكبيرة والعكس بالعكس، يقول الشيخ محمد الغزالي السقا في فقه السيرة: "إلى جانب هذه الأصناف تجد فريقا اخر من البشر، لا يطيق الكفّ عن إسداء الجميل، وبذل النصيحة، ورعاية الصالح العام، وإفناء ذاته في سبيل الفضائل التي ملكت لبّه، وعمرت قلبه إنه يبيت مسهّدا لو فرّط في واجب ... راحته الكبرى في نشدان الكمال، وسعادته القصوى يوم يدرك منه سهما"[2].

ملخص المبحث الأول:

تزكية النفس هي أساس بناء الإنسان الصالح الذي ينفع نفسه ومجتمعه، وتُعد ضرورة لتحسين الأخلاق وتحقيق رضا الله إذ إن النفس المزكاة تصنع أخلاقًا راقية تُحقق السعادة للفرد والمجتمع وهي المنهج الذي يؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

الفصل الثاني: في موارد تزكية النفس في النص القرآني:

تحدث القرآن عن تزكية النفس في مواضع كثيرة أحيانا بلفظها وأحيانا بآثارها ووسائلها وأحيانا بالتحذير من ضدها، وفيما يلي بعض المواضع التي سنتناولها في بحثنا هذا وسنقتصر على بعض المواضع من كل نوع مع ذكر تفسيرها من تفاسير متنوعة ثم نذيل الفصل بفائدة في كيفية التزكية من خلال القرآن:

المطلب الأول: المواضع التي ذكرت فيها التزكية بلفظها:

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[3].

وقال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ}[4].

وقال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [5]

والمتأمل في هذه الآيات يتضح له جليا أن تزكية النفس أمر مطلوب شرعاً، وأنها محض تفضل من الله سبحانه وتعالى، وقد تقدم الحديث عن موضعي آل عمران والشمس في الفصل الأول وبقي الكلام عن موضع النور، يقول أبو السعود في تفسيره" {مَا زكا} أي ما طهُر من دنسها وقرئ ما زكّى بالتَّشديدِ أي ما طهَّر الله تعالى ومِنْ في قولِه تعالَى {مّنكُمْ} بيانيَّةٌ وفي قوله تعالى {مّنْ أَحَدٍ} زائدةٌ وأحدٌ في حيّزِ الرَّفعِ على الفاعليَّةِ على القراءةِ الأُولى وفي محلِّ النصبِ على المفعوليَّةِ على القراءةِ الثَّانيةِ {أَبَدًا} لا إلى نهايةٍ {ولكن الله يُزَكّى} يُطهّر {مَن يَشَآء} من عباده بإضافة آثارِ فضله ورحمته على التَّوبةِ ثمَّ قبولِها منه كما فَعَل بكُم {والله سَمِيعٌ} مبالغٌ في سمعِ الأقوالِ التي مِنْ جُملتِها ما أظهرُوه من التَّوبةِ {عَلِيمٌ} بجميعِ المعلوماتِ التي مِنْ جُملتِها نيَّاتُهم وفيه حثٌّ لهم على الإخلاصِ في التوبة وإظهار الاسم الجليلِ للإيذانِ باستدعاءِ الألُوهيَّةِ للسمعِ والعلمِ مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي"[6].

المطلب الثاني: المواضع التي ذكرت فيها التزكية بآثارها أو وسائلها أو بالتحذير من ضدها:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}[7].

يقول ابن عجيبة في تفسيره: "ثم حَضَّ على التقوى الكاملة والدوام على الإسلام، تنفيراً من الاستماع لمن يخرج عنها، فقال: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}[8].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه:" حق تقاته هو أن يُطاعَ فلا يُعْصَى طرفةَ عين، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر» . ولما نزلت قالوا: يا رسول الله من يقوى على هذا؟ وشق عليهم، فنزلت: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فنسختها[9].

وعن أنس ابن مالك، قال: (لا يتقي الله عبدٌ حق تقاته حتى يُخْزِن من لسانه)

([1]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9. ح(6035)، (13/8).

([2])ينظر: فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي السقا صـ(182).

([3])سورة آل عمران، الآية: (164).

([4])سورة النور، من الآية: (21).

([5])سورة الشمس، الآيات: (9/8/7).

([6])ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت(6/164-165).

([7])سورة آل عمران، الآية: (102).

([8])ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي =رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: 1419 هـ، (378/1).

([9])ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ، (31/2).

وقيل ليست بمنسوخة لأنَّ مَنْ جَانَبَ ما نهى الله عنه، وفعل من الطاعة ما استطاع، فقد اتقى الله حق تقاته، فمعناها واحد. وسيأتي تحديد ذلك في الإشارة، إن شاء الله[1].

قال البيضاوي: وقيل: معنى (حق تقاته) : أن يُنزه الطاعة عن الالتفات إليها، وعن توقع المجازاة عليها، وفي هذا الأمر تأكيدٌ للنهي عن طاعة أهل الكتاب، وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أي: لا تكونوا على حالةٍ سوى الإسلام، إلى أن يدرككم الموت[2].

الإشارة: كما نهى الله عن طاعة من يرد عن الإيمان، نهى عن طاعة من يصد عن مقام الإحسان، كائناً ما كان، وكيف يرجع عن مقام التحقيق، وقد ظهرت معالم الطريق لمَن سبقت له العناية والتوفيق!.

ثم خاطب أهل الإحسان فقال: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ} بأن تغيبوا عما سواه، ولا تموتن إلا وأنتم منقادون لأحكام الربوبية، قائمون بوظائف العبودية. فهذه الآية خطاب لأهل الإحسان، وفَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ: خطاب لأهل الإسلام والإيمان، أو هذه لأهل التجريد، والثانية لأهل الأسباب، أو هذه لأهل الباطن، والثانية لأهل الظاهر، فلكل آية أهل ومحل، فلا نسخ ولا تعارض. وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: من أراد الجمع بين الآيتين فليتق الله حق تقاته بباطنه، وليتق الله ما استطاع بظاهره"[3].

وقال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}[4].

يقول الإمام القشيري في تفسيره: "ألم يحن للذين آمنوا أن تتواضع قلوبهم وتلين لذكر الله وللقرآن وما فيه من العبر؟ وألا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل؟ وأراد بهم اليهود، وكثير من اليهود فاسقون كافرون.

وأراد بطول الأمد الفترة التي كانت بين موسى ونبيّنا صلى الله عليه وسلم، وفي الخبر:

أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابتهم ملالة فقالوا: لو حدّثتنا.

فأنزل الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} فبعد مدّة قالوا:

لو قصصت علينا! فأنزل الله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ} فبعد مدة قالوا: لو ذكّرتنا ووعظتنا! فأنزل الله تعالى هذه السورة.

وإن قسوة القلب تحصل من اتباع الشهوة، والشهوة والصفوة لا تجتمعان فإذا حصلت الشهوة رحلت الصفوة. وموجب القسوة هو انحراف القلب عن مراقبة الربّ. ويقال: موجب القسوة أوّله خطرة فإن لمّ تتدارك صارت فكرة وإن لّم تتدارك صارت عزيمة، فإن لم تتدارك جرت المخالفة، فإن لم تتدارك بالتلافي صارت قسوة وبعدئذ تصير طبعا"[5].

وقال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}.[6]

يقول التستري رحمه الله في تفسيره[7]: قوله تعالى: "وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى" لا يسلم من الهوى إلا نبي وبعض الصديقين ليس كلهم، وإنما يسلم من الهوى من ألزم نفسه الأدب، وليس يصفو الأدب إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الصديقين، وكذلك الأخلاق

وخرج ابن السماك[8] يوماً إلى أصحابه وقد اجتمعوا إليه فقال لهم: قد كثرت عظاتي لكم، تريدون دوائي لكم، قالوا: نعم. قال: خالفوا أهواءكم، والله سبحانه وتعالى أعلم"[9].

المطلب الثالث: فائدة في منهج القرآن في تزكية النفس:

جعل القرآن الكريم الوقوف عند حدود الأمر والنهي أول طريق التزكية فلا تزكية إلا بالامتثال الكامل للشريعة وتحري الحلال والبعد عن الحرام ومجاهدة النفس في ذلك إذا جمحت وأمرت الإنسان بالمخالفة ثم بعد ذلك يعمد الإنسان إلى باطنه ليصفيه من الخصال الذميمة التي نهى الله عنها ويحليه بالفضائل التي أمره الله بها، يقول الحارث المحاسبي في آداب النفوس[10] :

---

(1) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(378/1).
(2) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (31/2).
(3) ينظر: المصدر نفسه (31/2).
(4) سورة الحديد، الآية: (16).
(5) ينظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة، (539/3).
(6) سورة النازعات الآية(40-41).
(7) تفسير التستري المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ) جمعها: أبو بكر محمد البلدي المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1423 هـ.
(8) هو: محمد بن صبيح بن السماك (ت 183 هـ)الواعظ، الكوفي. كان في زمن هارون الرشيد. روى عنه الأعمش، وروى عنه الإمام أحمد. ينظر: الحلية 8/ 203 وسير أعلام النبلاء 8/ 328) .
(9) ينظر: تفسير التستري (186/1).
(10) آداب النفوس المؤلف: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: 243هـ) المحقق: عبد القادر أحمد عطا الناشر: دار الجيل - بيروت - لبنان عدد الأجزاء: 1.

"فَإِذا أَنْت عرفت الْحق فأقررت بِهِ ودلك الْحق على أَن لله عَلَيْك مَعَ الْفَرَائِض الظَّاهِرَة فرضا بَاطِنا هُوَ تَصْحِيح السرائر واستقامة الْإِرَادَة وَصدق النِّيَّة ومفاتشة الهمة ونقاء الضَّمِير من كل مَا يكره الله وَعقد النَّدَم على جَمِيع مَا مضى من التواثب بِالْقَلْبِ والجوارح على مَا نهى الله عَنهُ، وَهَذَا أَمر جعله الله مهيمنا على أَعمال الْجَوَارِح فَمَا كَانَ من أَعمال الْعَبْد من عمل ظَاهر قوبل بِهِ من الْبَاطِن فَمَا صَحَّ وَوَافَقَ بَاطِنه صلح وَقبل ظَاهره وَمَا خَالف وَفَسَد بَاطِنه ردَّتْ عَلَيْهِ أَعمال ظَاهِرَة وَإِن كثرت وخسر ظَاهرهَا لفساد بَاطِنهَا ويحقق ذَلِك كُله قَول الله تَعَالَى {وذروا ظَاهر الْإِثْم وباطنه إِن الَّذين يَكْسِبُونَ الْإِثْم سيجزون بِمَا كَانُوا يقترفون} [1]، وَقَول النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» [2]
فاعرف يَا أخي نَفسك وتفقد أحوالها وابحث عَن عقد ضميرها بعناية مِنْك وشفقة مِنْك عَلَيْهَا مَخَافَة تلفهَا فَلَيْسَ لَك نفس غَيرهَا فَإِن هَلَكت فَهِيَ الطامة الْكُبْرَى والداهية الْعُظْمَى"[3].

كما جعل القرآن الذكر سبيلا لتزكية النفس فقال تعالى:{ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} "[4]، يقول أبو البركات النسفي في تفسيره: "{اتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الكتاب} تقرباً إلى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه {وأقم الصلاة} أي دم على إقامة الصلاة {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء} الفعلة القبيحة كالزنا مثلاً {والمنكر} هو ما ينكره الشرع والعقل قيل من كان مراعياً للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوماً ما، فقد روى أنه قيل يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال: إن صلاته لتردعه وروى أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال: إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب، وقال ابن عوف: إن الصلاة تنهى إذا كنت فيها فأنت في معروف وطاعة وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه {ولذكر الله أكبر} أي الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لأنها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته، وقال ابن عطاء الله: ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لأن ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والأماني ولأن ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى، وقال سلمان: ذكر الله أكبر من كل شيء وأفضل، فقد قال عليه السلام:" ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: وما ذاك يا رسول الله، قال: ذكر الله، وسئل أي الأعمال أفضل، قال: أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله، أو ذكر الله أكبر من أن تحويه أفهامكم وعقولكم، أو ذكر الله أكبر من أن تلقى معه معصية، أو ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره {والله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب"[5].

كما جعل القرآن مجاهدة النفس وحملها على ما تكره حتى تستقيم على أمر الله ومخالفة الهوى من أهم الأبواب التي ينبغي على من أراد تزكية نفسه أن يطرقها، قال تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} "[6]، يقول الفخر الرازي في تفسيره[7]"لَمَّا فَرَغَ مِنَ التَّقْرِيرِ وَالتَّقْرِيعِ وَلَمْ يُؤْمِنِ الْكُفَّارُ سَلَّى قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا} أَيْ: مَنْ جَاهَدَ بِالطَّاعَةِ هَدَاهُ سُبُلَ الْجَنَّةِ {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} إِشَارَةٌ إِلَى مَا قَالَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ}[8]، فَقَوْلُهُ: لَنَهْدِيَنَّهُمْ إِشَارَةٌ إِلَى الْحُسْنَى وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} إِشَارَةٌ إِلَى الْمَعِيَّةِ وَالْقُرْبَةِ الَّتِي تَكُونُ لِلْمُحْسِنِ زِيَادَةٌ عَلَى حَسَنَاتِهِ، وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ حُكْمِيٌّ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا أَيِ الَّذِينَ نَظَرُوا فِي دَلَائِلِنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا أَيْ لِنُحَصِّلَ فِيهِمُ الْعِلْمَ بِنَا. وَلِنُبَيِّنَ هَذَا فَضْلَ بَيَانٍ، فَنَقُولُ أَصْحَابُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ قَالُوا إِنَّ النَّظَرَ كَالشَّرْطِ لِلْعِلْمِ الِاسْتِدْلَالِيِّ وَاللَّهُ يَخْلُقُ فِي النَّاظِرِ عِلْمًا عَقِيبَ نَظَرِهِ وَوَافَقَهُمُ الْفَلَاسِفَةُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَعْنَى، وَقَالُوا النَّظَرُ مُعِدٌّ لِلنَّفْسِ لِقَبُولِ الصُّورَةِ الْمَعْقُولَةِ، وَإِذَا اسْتَعَدَّتِ النَّفْسُ حَصَلَ لَهَا الْعِلْمُ مِنْ فَيْضِ وَاهِبِ الصُّوَرِ الْجُسْمَانِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ التَّرْتِيبُ حَسَنًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ الدَّلَائِلَ وَلَمْ تُفِدْهُمُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَنْظُرُوا فَلَمْ يَهْتَدُوا وَإِنَّمَا هُوَ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يتقون التعصب وَالْعِنَادَ فَيَنْظُرُونَ فَيَهْدِيهِمْ وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} إِشَارَةٌ إِلَى دَرَجَةٍ أَعْلَى مِنَ الِاسْتِدْلَالِ كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ بَعِيدًا لَا يَتَقَرَّبُ وَهُمُ الْكُفَّارُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَقَرَّبُ بِالنَّظَرِ وَالسُّلُوكِ فَيَهْدِيهِمْ وَيُقَرِّبُهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ اللَّهُ مَعَهُ وَيَكُونُ قَرِيبًا مِنْهُ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ مِنْهُ وَلَا يَعْلَمُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَمَنْ يَكُونُ مَعَ الشَّيْءِ كَيْفَ يَطْلُبُهُ فَقَوْلُهُ: وَمَنْ أَظْلَمُ إِشَارَةٌ إِلَى الْأَوَّلِ وَقَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا}إِشَارَةٌ إِلَى الثَّانِي وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} إِشَارَةٌ إِلَى الثَّالِثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِ كِتَابِهِ"[9].

([1]) سورة الأنعام الآية(120).
([2]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، (1/6/ح1).
([3]) ينظر: آداب النفوس للمحاسبي (40/1).
([4]) سورة العنكبوت، الآية: (45).
([5]) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (679/2).
([6]) سورة العنكبوت، الآية:(69).
([7]) مفاتيح الغيب التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
([8]) سورة يونس، الآية: (26).
([9]) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (77/25).

ملخص المبحث الثاني:

عني القرآن الكريم بتزكية النفس وجعلها مطلوبة من المكلف ورتب الجزاء العظيم لمن سعى في تزكية نفسه وتخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل ووعد أنه هاد من جاهد نفسه إلى الصراط المستقيم وأخبر أنها محض فضل منه سبحانه وتعالى لا تكون بسعي العبد ولا باجتهاده وإنما السعي امتثال للأمر والتوفيق والفلاح إنما هو من الله عز وجل.

المبحث الثالث: في تأكيد وتدعيم السنة النبوية لمنهج القرآن في تزكية النفس:

جاءت السنة النبوية المشرفة مؤكدة على منهج تزكية النفس آمرة المؤمنين بمجاهدة أنفسهم وتطهير قلوبهم تارة بالتأكيد على تلك المعاني وتارة بالتوجيه إلى بعض الوسائل والكيفيات لتزكية النفس وتطهير القلب وتارة بالإخبار بالثواب لمن زكت نفسه وطهر قلبه، يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» [1]، يقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم[2]:"قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم (التقوى ها هنا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ) وَفِي رِوَايَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ مَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ لَا يَحْصُلُ بِهَا التَّقْوَى وَإِنَّمَا تَحْصُلُ بِمَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ مِنْ عَظَمَةِ الله تعالى وخشيته ومراقبته ومعنى نظر الله هُنَا مُجَازَاتُهُ وَمُحَاسَبَتُهُ أَيْ إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ على ما في الْقَلْبِ دُونَ الصُّوَرِ الظَّاهِرَةِ وَنَظَرُ اللَّهِ رُؤْيَتُهُ محيط بكل شئ وَمَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّ الِاعْتِبَارَ فِي هَذَا كُلِّهِ بِالْقَلْبِ وَهُوَ مِنْ نَحْوِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِلَّا أَنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ" الْحَدِيثَ قَالَ الْمَازِرِيُّ وَاحْتَجَّ بَعْضُ النَّاسِ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ فِي الْقَلْبِ لَا فِي الرَّأْسِ وَقَدْ سَبَقَتِ الْمَسْأَلَةُ مَبْسُوطَةً فِي حَدِيثِ أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً" [3].

ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه" [4]، يقول الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين[5]:"وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشيء وقر في صدره، كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلاً، ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة، ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم، فقيل له: أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة، فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام، إنما أريد العلم بالله تعالى، أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب ضبيعاً بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره" [6]. **ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم** «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» [7]، يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري[8] :"وَالْمُرَادُ بِالذِّكْرِ هُنَا الْإِتْيَانُ بِالْأَلْفَاظِ الَّتِي وَرَدَ التَّرْغِيبُ فِي قَوْلِهَا وَالْإِكْثَارُ مِنْهَا مِثْلِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَمَا يَلْتَحِقُ بِهَا مِنَ الْحَوْقَلَةِ وَالْبَسْمَلَةِ وَالْحَسْبَلَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَالدُّعَاءِ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُطْلَقُ ذِكْرُ اللَّهِ أَيْضًا وَيُرَادُ بِهِ الْمُوَاظَبَةُ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا أَوْجَبَهُ

([1]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، (4/1987/ ح2564)).

([2]) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392.

([3]) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(16/121).

([4]) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين وقال السبكي لم أقف له على سند ومعناه صحيح وأخرجه الحكيم الترمذي في النوادر من قول بكر بن عبد الله المزني.

([5]) إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت عدد الأجزاء: 4.

([6]) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (1/23).

([7]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله، ح، ر (6407)، (8/86).

([8]) فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء: 13.

أَوْ نَدَبَ إِلَيْهِ كَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَةِ الْحَدِيثِ وَمُدَارَسَةِ الْعِلْمِ وَالتَّنَفُّلِ بِالصَّلَاةِ، ثُمَّ الذِّكْرُ يَقَعُ تَارَةً بِاللِّسَانِ وَيُؤْجَرُ عَلَيْهِ النَّاطِقُ وَلَا يُشْتَرَطُ اسْتِحْضَارُهُ لِمَعْنَاهُ وَلَكِنْ يُشْتَرَطُ أَنْ لَا يَقْصِدَ بِهِ غَيْرَ مَعْنَاهُ وَإِنِ انْضَافَ إِلَى النُّطْقِ الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ فَهُوَ أَكْمَلُ فَإِنِ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ اسْتِحْضَارُ مَعْنَى الذِّكْرِ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَنَفْيِ النَّقَائِصِ عَنْهُ، ازْدَادَ كَمَالًا فَإِنْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ مَهْمَا فُرِضَ مِنْ صَلَاةٍ أَوْ جِهَادٍ أَوْ غَيْرِهِمَا ازْدَادَ كَمَالًا فَإِنْ صَحَّحَ التَّوَجُّهَ وَأَخْلَصَ لِلَّهِ - تَعَالَى- فِي ذَلِكَ فَهُوَ أَبْلَغُ الْكَمَالِ.
وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: الْمُرَادُ بِذِكْرِ اللِّسَانِ الْأَلْفَاظُ الدَّالَّةُ عَلَى التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّمْجِيدِ وَالذِّكْرُ بِالْقَلْبِ التَّفَكُّرُ فِي أَدِلَّةِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَفِي أَدِلَّةِ التَّكَالِيفِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ حَتَّى يَطَّلِعَ عَلَى أَحْكَامِهَا وَفِي أَسْرَارِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ وَالذِّكْرُ بِالْجَوَارِحِ هُوَ أَنْ تَصِيرَ مُسْتَغْرِقَةً فِي الطَّاعَاتِ، وَمِنْ ثَمَّ سَمَّى اللَّهُ الصَّلَاةَ ذِكْرًا فَقَالَ: {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}
وَنُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْعَارِفِينَ قَالَ: الذِّكْرُ عَلَى سَبْعَةِ أَنْحَاءٍ: فَذِكْرُ الْعَيْنَيْنِ بِالْبُكَاءِ وَذِكْرُ الْأُذُنَيْنِ بِالْإِصْغَاءِ وَذِكْرُ اللِّسَانِ بِالثَّنَاءِ وَذِكْرُ الْيَدَيْنِ بِالْعَطَاءِ وَذِكْرُ الْبَدَنِ بِالْوَفَاءِ وَذِكْرُ الْقَلْبِ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَذِكْرُ الرُّوحِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا" [1].

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل:" أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ إِسْلَامًا؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» ، قَالَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ» ، قَالَ: فَأَيُّ الْمُهَاجِرِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ جَاهَدَ لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ» " [2]، يقول الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين في الوسائل المعينة على جهاد النفس: "وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة
وليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشه الوحدة بعد الموت، وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه إذ لا يهدم الموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه فرحا بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله} وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يعنون جهاد النفس"[3]. **ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم** «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»"[4]، يقول ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم[5]:"وامتنَّ على عباده بالتَّأليف بين قلوبهم، كما قال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً}[6]، وقال: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}[7]، ولهذا المعنى حرم المشي بالنَّميمة، لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء، ورُخِّصَ في الكذب في الإصلاح بين النَّاس، ورغَّب الله في الإصلاح بينهم، كما قال تعالى: {لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً"[8].

ملخص المبحث الثالث:

جاءت السنة الشريفة مبينة أن منهج تزكية النفس منهج إسلامي أصيل ومنبهة على أهمية ذلك المنهج وشارحة للوسيلة التي تكون بها التزكية ليتضح لنا جليا أن من أراد الله ورسوله والدار الآخرة فعليه أن يسلك هذا الطريق ويأخذ نفسه بالمجاهدة ويداوم على ذكر الله فإن الله سبحانه وتعالى إذا رأى من عبده خيرا وفقه وهداه إلى سواء السبيل.

المبحث الرابع: في الأثر النفسي والأخلاقي لمنهج التزكية القرآني:

لتزكية النفس أثر بالغ في حياة الإنسان على المستويات النفسية والأخلاقية والاجتماعية، حيث تؤدي إلى تحقيق السلام الداخلي والارتقاء بالسلوك وتعزيز الروابط المجتمعية، وفي هذا الفصل سوف نتناول تلك الآثار المترتبة على اتخاذ تزكية النفس كمنهج حياه

المطلب الأول: الآثار النفسية والأخلاقية لمنهج تزكية النفس:

لا شك أن أسعد الناس بالنفس الزكية صاحبها إذ تكون نفسه تلك مطمئنة خالية من الآفات التي تنغص على الناس عيشهم وفيما يلي بعض الآثار النفسية المترتبة على ذلك:

([1]) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبن حجر العسقلاني (209/11).
([2]) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح، ر (14512)، (596/13)، ومحمد بن المروزي في تعظيم قدر الصلاة، ح، ر (639)، (600/2).
([3]) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (244/2).
([4]) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، (280/4/ح4919)، والترمذي في سننه،(244/4/ ح 2509)، وقال الترمذي حديث صحيح.
([5]) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)
المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: السابعة.
([6]) سورة آل عمران، الآية:(103).
([7]) سورة الأنفال، الآية:(63).
([8]) سورة النساء، الآية:(114).

1. السكينة والطمأنينة

قال تعالى {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[1] ، يقول الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في وصيته[2]:" وراقب الله تَعَالَى فِي خلواتك وأفعالك وأحوالك فَإِن الله تَعَالَى يَقُول: {إِن الله كَانَ عَلَيْكُم رقيبا} وداوم على ذكر الله فَإِنَّك تستجلب بذكرك لَهُ قَالَ الله تَعَالَى: {فاذكروني أذكركم} وَقَالَ عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَام: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ» "[3][4].

وأيضا فمن زكت نفسه فإنه يكون معلقا قلبه بالله وحده ساكنا عمن سواه لا يؤمل أملا من غيره عز وجل فيكون ساكن النفس هادئ البال يعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، يقول الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في رسالة عيوب النفس[5]:" وَمن عيوبها استكشافه الضّر مِمَّن لَا يملكهُ ورجاؤه فِي النَّفْع مِمَّن لَا يقدر عَلَيْهِ واهتمامه بالرزق وَقد تكفل لَهُ بالرزق ومداواته الرُّجُوع إِلَى صِحَة الْإِيمَان بِمَا أخبر الله فِي كِتَابه { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ }[6] الْآيَة وَإِلَى قَوْله { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا }[7] وَيُصْبِح لَهُ هَذَا الْحَال إِذا نظر إِلَى ضعف الْخلق وعجزهم فَيعلم أَن كل من يكون مُحْتَاجا لَا يقدر على قَضَاء حَاجَة غَيره وَمن يكون عَاجِزا لَا يُمكنهُ ان يصلح أَسبَاب غَيره فَيسلم من هَذِه الْخَطِيئَة وَيرجع إِلَى ربه بِالْكُلِّيَّةِ"[8].

2. قوة الإرادة وضبط النفس:

تزكية النفس رياضة غايتها حمل النفس على أمر الله حتى لو كان هذا الأمر مخالفاً لهوى النفس، وكمال هذا أن يكون هوى الإنسان موافقا لأمر الله سبحانه وتعالى، ففي الحديث «لَنْ يَسْتَكْمِلَ مُؤْمِنٌ إِيمَانَهُ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ» "[9]، يقول الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين[10] " الْخُلُقُ الْحَسَنُ صِفَةُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَأَفْضَلُ أَعْمَالِ الصِّدِّيقِينَ وَهُوَ عَلَى التَّحْقِيقِ شَطْرُ الدِّينِ وَثَمَرَةُ مُجَاهَدَةِ الْمُتَّقِينَ وَرِيَاضَةُ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْأَخْلَاقُ السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة وَالْمَخَازِي الْفَاضِحَةُ وَالرَّذَائِلُ الْوَاضِحَةُ وَالْخَبَائِثُ الْمُبْعِدَةُ عَنْ جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْمُنْخَرِطَةُ بِصَاحِبِهَا فِي سِلْكِ الشَّيَاطِينِ وَهِيَ الْأَبْوَابُ الْمَفْتُوحَةُ إِلَى نَارِ اللَّهِ تعالى الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ كَمَا أَنَّ الْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ هِيَ الْأَبْوَابُ الْمَفْتُوحَةُ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى نَعِيمِ الْجِنَانِ وَجِوَارِ الرَّحْمَنِ وَالْأَخْلَاقُ الْخَبِيثَةُ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَأَسْقَامُ النُّفُوسِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَضٌ يُفَوِّتُ حَيَاةَ الْأَبَدِ وَأَيْنَ مِنْهُ الْمَرَضُ الَّذِي لَا يُفَوِّتُ إِلَّا حَيَاةَ الْجَسَدِ وَمَهْمَا اشْتَدَّتْ عِنَايَةُ الْأَطِبَّاءِ بِضَبْطِ قَوَانِينِ الْعِلَاجِ لِلْأَبْدَانِ وَلَيْسَ فِي مَرَضِهَا إِلَّا فَوْتُ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ فَالْعِنَايَةُ بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حَيَاةٍ بَاقِيَةٍ أَوْلَى وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الطِّبِّ وَاجِبٌ تَعُمُّهُ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ إِذْ لَا يَخْلُو قَلْبٌ مِنَ الْقُلُوبِ عَنْ أَسْقَامٍ لَوْ أُهْمِلَتْ تَرَاكَمَتْ وَتَرَادَفَتِ الْعِلَلُ وَتَظَاهَرَتْ فَيَحْتَاجُ العبد إلى تأنق في معرفة علمها وَأَسْبَابِهَا ثُمَّ إِلَى تَشْمِيرٍ فِي عِلَاجِهَا وَإِصْلَاحِهَا فَمُعَالَجَتُهَا هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى قَدْ أَفْلَحَ من زكاها وَإِهْمَالُهَا هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَقَدْ خَابَ مَنْ دساها"[11].

وهذه المجاهدة ليست بالأمر المحال بل كل من أراد سلوك هذا الطريق فإن الله سبحانه وتعالى يفتح عليه ويقيم أخلاقه على الصراط المستقيم، قال تعالى { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }[12]، يقول الإمام الغزالي في ميزان العمل[13][14] " لقد ظنّ بعض المائلين إلى البطالة أن الخُلق كالخَلق، فلا يقبل التغيير. والتفت إلى قوله عليه السلام: " فرغ الله من الخلق". وظن أن

([1]) سورة الرعد، الآية:(28).

([2]) وصية الشيخ السلمي المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: 412هـ(المحقق: مجدي فتحي السيد

الناشر: مكتبة الصحابة - طنطا: عدد الأجزاء: 1.

([3]) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، باب قراءة الفاتحة خلف الإمام(109/1)، والبيهقي في شعب الايمان، باب في إدامة ذكر الله تعالي-(93/2)،

([4]) ينظر: وصية الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي (52).

([5]) عيوب النفس المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: 412هـ) المحقق: مجدي فتحي السيد. الناشر: مكتبة الصحابة - طنطا: عدد الأجزاء: 1.

([6]) سورة يونس، الآية: (107).

([7]) سورة هود، الآية: (6).

([8]) ينظر: رسالة عيوب النفس للشيخ أبي عبد الرحمن السلمي (7).

([9]) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة(15)والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى(188/1/ح 209)، قال النووي حديث صحيح.

[10] انظر إحياء علوم الدين ج3 ص49

([11]) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (49/3).

([12]) سورة العنكبوت (69).

([13]) ميزان العمل المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ(حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا الناشر: دار المعارف، مصر الطبعة: الأولى، 1964 هـ عدد الأجزاء:1.

[14] انظر ميزان العمل 247 - 248

المطمع في تغيير الخلق، طمع في تغيير خلق الله عز وجل، وذهل عن قوله عليه السلام: " حسّنوا أخلاقكم ". وإن ذلك لو لم يكن ممكناً، لما أمر به، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب، فإن الأفعال نتائج الأخلاق، كما أن الهويّ إلى أسفل نتيجة الثقل الطبيعي، فلم يتوجه الملام إلى أحدهما دون الآخر. بل كيف ينكر تهذيب الإنسان مع استيلاء عقله، وتغيير خلق البهائم ممكن، إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى التأنس، والكلب من الأكل إلى التأدب، والفرس من الجماح إلى السلاسة، وكل ذلك تغيير خلق؟ والقول الشافي فيه أن ما خلق الله سبحانه قسمان قسم لا فعل لنا فيه، كالسماء والكواكب، بل أعضاء أبداننا وأجزائها، وما هو حاصل بالفعل، والقسم الثاني ما خلق وجعلت فيه قوة لقبول كمال بعده، إذا وجد شرط التربية. وتربيته قد تتعلق بالاختيار، فإن النواة ليست بتفاح، ولا نخل، ولكنها قابلة بالقوة لأن تصير نخلاً بالتربية، وغير قابلة لأن تصير تفاحاً، وإنما تصير نخلاً إذا تعلق بها اختيار الآدمي في تربيتها، فلذلك لو أردنا أن نقلع بالكلية الغضب والشهوة من أنفسنا، ونحن في هذا العالم عجزنا عنه، ولكن لو أردنا قهرهما، واسلاسهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه، وقد أمرنا بهذا، وصار ذلك شرط سعادتنا ونجاتنا"[1].

3. التواضع:

من زكت نفسه فإنه لا يرى لنفسه فضلا على أحد من المسلمين ويحسن معاملتهم جميعا وما أحسن قول الإمام الشاطبي في خلق حامل القرآن:

هُوَ المُجْتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ... قَرِيباً غَرِيباً مُسْتَمَالاً مُؤَمَّلَا
يَعُدُّ جَمِيعَ النَّاسِ مَوْلىً لأَنَّهُمْ ... عَلَى مَا قَضَاهُ اللهُ يُجْرُونَ أَفْعُلَا
يَرَى نَفْسَهُ بِالذَّمِّ أَوْلَى لأَنَّهَا ... عَلَى المَجْدِ لَمْ تَلْعقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلَا
وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ ... أَهْلُهُ وَمَا يَأْتَلِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَذِّلَا [2].

المطلب الثاني: الآثار الاجتماعية لمنهج تزكية النفس:

1. تقوية العلاقات الاجتماعية:

جاء في الحديث «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» [3]، فالذي زكت نفسه يخالط الناس ويعاملهم معاملة حسنة ويحتمل ما قد يصدر منهم من أذى ويؤدي الحقوق إلى أصحابها ولا ينتظر منهم مكافأة بعد ذلك بل ينتظر جزاءه من الله وحده.

2. نشر السلام والأمن بين الناس

التزكية تربي الإنسان على نبذ العنف والحقد، مما يعزز الأمن المجتمعي فقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [4]. وقد قيل إن الإنسان إذا خاف أن يتعدى شره إلى غيره أو يتعدى شر غيره إليه فالعزلة له أولى، يقول الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين:" وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»[5]، وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا إشارة الى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته وقوله إن الله يحب التقي الخفي إشارة الى إيثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه:" ألا أنبئكم بخير الناس قالوا: بلى يا رسول الله فأشار بيده نحو المغرب وقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه، ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار بيده نحو الحجاز وقال: رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس"[6].

ملخص المبحث الرابع:

جودة المجتمع تكون بجودة أخلاق أفراده وأسعد الناس بحسن الخلق نفسه وأشقى الناس بسوء الخلق نفسه أيضا، فمن زكت نفسه وفقه كانت تزكيته خيرا له ولغيره من أفراد مجتمعه والعكس بالعكس.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات:

([1]) ينظر: ميزان العمل للغزالي (247_-248).

([2]) ينظر: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المؤلف: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (ت 590هـ)، (7/1-8).

([3]) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء(2/1338/ح4032)، والامام أحمد في مسنده،(9/64/ح5022).

([4]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (1/12/ ح13).

([5]) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الصبر على البلاء، (2/1338/ ح 4032)، والترمذي في سننه،(4/243/ح 2507).

([6]) ينظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي(2/226).

النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج:

1. تزكية النفس منهج قرآني أصيل وتكون بالتخلي عن كل قبيح والتحلي بكل صحيح.
2. جاءت السنة مؤكدة لهذا المنهج القرآني مرغبة فيه.
3. تزكية النفس أمر ضروري للفرد والمجتمع ولها تأثير كبير على جودة الحياة داخل المجتمعات.

ثانياً: التوصيات:

1. إقامة فعاليات لتوعية الناس بضرورة تزكية النفس وطرح الهوى.
2. كتابة ونشر بحوث ورسائل في المعرفة النفسية وتزكية النفوس.
3. تبني منهج تزكية النفس في نطاق أوسع واتخاذه سبيلا لتعديل السلوك الإنساني.

المصادر والمراجع:

القران الكريم
1.تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت
الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م عدد الأجزاء: 3
2. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982ه) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
3. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: 1419 ه.
4. لطائف الإشارات = تفسير القشيري المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة.
5. تفسير التستري المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ) جمعها: أبو بكر محمد البلدي المحقق: محمد باسل عيون السود
الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1423 هـ.

6.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9.

7. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت عدد الأجزاء: 5.

8.سنن ابن ماجه المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي عدد الأجزاء: 2.

9. سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت عدد الأجزاء: 4.

10.الجامع الكبير - سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) المحقق: بشار عواد معروف

الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: 1998 م عدد الأجزاء: 6

11. مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ(المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون

إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

12.المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، 1406 - 1986

عدد الأجزاء: 9 (8 ومجلد للفهارس)

13.المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية عدد الأجزاء:25

14. شعب الإيمان المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد

الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند الناشر: مكتبة 2003 م الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - عدد الأجزاء: 14 (13، ومجلد للفهارس)
15. فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء: 13.
16. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392.
17.جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م عدد الأجزاء: 2 (في مجلد واحد).
18. إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)
الناشر: دار المعرفة - بيروت عدد الأجزاء: 4.
19. ميزان العمل المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ(
حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا الناشر: دار المعارف، مصر الطبعة: الأولى، 1964 هـ عدد الأجزاء:1.
20.وصية الشيخ السلمي المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: 412هـ(المحقق: مجدي فتحي السيد الناشر: مكتبة الصحابة - طنطا: عدد الأجزاء: 1.
21.عيوب النفس المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: 412هـ) المحقق: مجدي فتحي السيد. الناشر: مكتبة الصحابة - طنطا: عدد الأجزاء: 1
22.آداب النفوس المؤلف: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: 243هـ)
المحقق: عبد القادر أحمد عطا الناشر: دار الجيل - بيروت - لبنان عدد الأجزاء: 1.
23.فقه السيرة المؤلف: الشيخ محمد الغزالي السقا(ت1416ه)، الناشر: دار الدعوة، سنة الطبع:2000م.
24.حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المؤلف: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: 590هـ)، (1/7-8).